الفصل الخامس
الطريقة الانفرادية في علم النفس التفاضلي

1-5 اتجاه الانفرادية العمرية والوراثية

ينبع اتجاه الانفرادية العمرية في علم النفس التفاضلي من اكتساب نفسية الإنسان لعدم التماثل الفردي أثناء التطور العمري الذي يمتلك أطواره و مراحله الضرورية. يمكن القول أن النوعية الانفرادية المتنوعة تتشكل أثناء التطور الطبيعي، كما في نتائج التوجه الهادف المحدد لنشاط الإنسان. دائماً ما يكون ممثلو هذا الاتجاه قريبون بتطورهم من التحليل النفسي.

هكذا، أصبح آ . أدلر يعالج الميل الأولي للإنسان كممثل نوع على شكل إحساس جماعي، الذي يظهر في سعيه إلى ((التوحد في جماعات لكي يستطيع أن يعيش كعضو في مجتمع وليس كفرد منعزل)) (3، ص 46) . تحدد الأشكال الأساسية للجماعات الإنسانية عن طريق النشاط المهني والتواصل الاجتماعي مع الجماعات الأخرى في الحب والزواج. تولّد الصعوبات في التكيف الاجتماعي عند الإنسان الإحساس بعدم القيمة، الذي يحدد هدف الحياة، الذي يؤسس بدوره البنية الشخصية الفردية الحاصلة على تسمية ((نمط الحياة)). تتشكل أسس نمط الحياة حتى عمر 4 - 5 سنوات. يكوّن المضمون الرئيسي لنمط الحياة الفردي الإحساس بالتفوق، الذي يمكنه إبعاد الصعوبات الناجمة عن التكيف الاجتماعي، وذلك عندما يسعى الإنسان لإيجاد قوة الحياة، التي يستطيع فيها التفوق على غيره، والسبب يعود إلى ((الإنسان دائماً يسعى لإيجاد الوضعية التي يتفوق فيها على الجميع)) (ص 55). كل شخص تلازمه خاصة ((الإحساس بعدم قيمة النجاح والتفوق، التي تعد قواعد حياة الإنسان النفسية بالكامل)) (152). بالتالي وفي هذا السياق يمكن إظهار ثلاثة أطوار عمرية لتطور نفسية الإنسان: الطور الابتدائي، الذي يحدد بالسعي نحو الاجتماع مع الآخرين، وطور نشوء و نمو الإحساس بعدم القيمة، وطور التأثير المسيطر للإحساس بالتفوق.

obeikandi.com

يعمل الإحساس المركز بشكل خاص لعدم القيمة على تكوين مجموعة عديمة القيم، التي ترافق ظهور مجموعة التفوق . لذلك غالباً ما تنشأ مجموعة عديمة القيم عند الأشخاص غير المكتملين بدنياً، وكذلك نتيجة للتربية غير السليمة عند الأطفال المدللين والمشاكسين. هام أيضاً أن مجموعة العيوب تنشأ في نتيجة ((غياب أهداف التفوق اللازمة والمحددة عند الإنسان. هي تقود إلى الهروب من الحياة، المتشكلة في مجموعة التفوق، ولا تعتبر أي شيء حاضراً، كالأنشطة الحياتية الغير مفيدة والتي بدون معنى تقترح لنيل نجاح كاذب وهمي)) (185). عندها، يعد شخصاً طبيعياً – الشخص الذي يعيش في المجتمع ويتكيف مع نموذج حياته بشكل جيد، و برغبته أو بدون رغبته، يمكن للمجتمع استخلاص فائدة من أنشطته. عدا ذلك، لديه الطاقة الكاملة والحيوية لمواجهة المشكلات والصعوبات التي تحدث في حياته بشكل منفتح.

أما الناس الذين لديهم انحرافات نفسية مرضية فسيفتقدون للصفتين التاليتين: التكيف الاجتماعي، وقدرة التعامل مع الصعوبات اليومية للحياة. من المهم العمل على إقلال الإحساس بعدم القيمة عند هؤلاء الأشخاص، ولكن عندها يتوجب حساب، إن هذا الإحساس يعتبر الشرط الأهم للمعالجة النفسية الناجحة. من المهم – تبديل الغاية، التي بالوصول إليها يسعى الإنسان لإبعاد عدم قيمته وإعطاء هذه الغاية عموماً قيمة كبيرة، عندها يخدم تفوقه بشيء ما على الآخرين المصالح العامة. إن القسم الأساسي لهذه الصيغة هو عبارة عن تحليل الذكريات المختلفة وتحليل يوميات الزبائن والمراجعين. يساعد تحليل الذكريات المبكرة على إظهار أسباب نشوء مجموعة عدم القيمة، أما اليوميات فتساعد في إيجاد أهداف ((حقيقية)) لنشاط الإنسان الحياتي ومضمون نمط حياته.

بهذا الشكل، ما يحصل، أن الهدف من علم النفس ((يصبح تعليم الناس العيش جيداً مع الآخرين، وبنفس الوقت الإقلال من حوادث عيوبهم الطبيعية)) (ص 47) . يعمل التنوع في التأثير الاجتماعي المتبادل للإنسان على تحديد فردية غايات وأنماط الحياة، لذلك علم النفس عند أدلر فردياً .

يميز التركيب الثلاثي لتطور الفردية أيضاً نظريات ب.غ. انانييف. كما أشير سابقاً هو يظهر الميزات التي تشكل تركيب الإنسان مثل الفردية والشخصية والنشاط الذاتي. إن تكامل خواص الفرد هو عبارة عن المزاج والطباع، والخواص الشخصية - الطابع والميول، أما ذاتية النشاط - القدرات والذكاء. النقطة العامة للتلاقي ((لتكمل جميع خواص الإنسان كالفردية والشخصية وذاتية النشاط هي عبارة عن الفردية وتنظيمها الهادف لهذه الخواص وضبطها الذاتي)) (5، ص274). الشكل الأساسي لتطور الخواص الفردية هو عبارة عن العملية التطورية الوراثية التي تتم حسب برنامج نشوء وراثي محدد، والشكل الأساسي لتطور الخواص الشخصية – هو طريق حياة الإنسان في المجتمع، وطبيعة شخصيته الاجتماعية، أما الخواص الذاتية - فهي تاريخ النشاط الإنتاجي للإنسان في المجتمع. خلال ذلك يلاحظ التغاير المحافظي (اختلاف أزمان البداية والنهاية) للأشكال التطورية الوراثية وسيرة الحياة - الشخصية والعملية - الذاتية الخاصة بتطور الإنسان الفردي، وهو ما يعتبر واحداً من مؤشرات التناقضية الداخلية لهذا التطور وشروطه العواملية للنشاط الوظائفي ولآليات العمليات النفسية الجراحية و الدوافعية.

إن الآليات الوظيفية محكومة بالتنظيم الطبيعي للفردية الإنسانية وتأثير عوامل السن (النمو والنضوج والتحولات النضجية والتقدم في العمر). هذه العوامل ((على العكس ليس لها تأثير مباشر على الآليات العملياتية، في عملية هذا أو ذاك النشاط للإنسان نفسه (النظري والعملي). وهو ما يتعلق بالمستوى التقني والثقافي الناتج عبر تراكم التجارب والخبرات)) (ص 207). من المفهوم، أن الآليات العملياتية تنسب إلى مواصفات الإنسان كفاعل للنشاط وبنفس الوقت كآليات التحفيز، ((المتضمنة جميع مستويات الدوافعية (من المتطلبات المحددة حتى التوجهات القيمة)، تنسب إلى مواصفات الإنسان مثل الفردية والشخصية)) (ص 208). بما أن تمارين الوظائف النفسية الفيزيولوجية في عمليات النشاط غير كافية لإنشاء الآليات العملياتية، بينما تحدد الآليات الدوافعية بشكل حاسم عند طريق القانونية الاجتماعية والبيولوجية، فإنه يمكن الوصول إلى خلاصة أنه وانطلاقاً من خاصياتها، بالتحديد

الآليات العملياتية قادرة على تأمين تشكل السمات النفسية المميزة للإنسان وتكوين فرديته.

تحدد المقاومة المتأخرة عن جميع غيرها من الوظائف الانتكاسية لعملية التهرم العام والتحسسية (ارتفاع الإحساس) والوظائف الإدراكية - الحسية في عملية النشاط العملي للإنسان، الطبع الثنائي الطور لتطور نفس الوظائف النفسية. يجري على الأول منهما تقدم جبهي عام في أثناء بلوغه. تتم على الطور الثاني في تطور نفس الوظائف عملية التخصص، وهو ما يقود إلى تشكل الطبع النفسي الفردي المميز عن جميع الآخرين.

خلال ذلك يتوجب حساب العملية التخصصية الأولية للوظائف النفسية. هكذا، في نتيجة العملية التنظيمية والتعميمية للمعطيات التجريبية الكثيرة التعدد، وصلت ي.ف. ريبالكو إلى خلاصة حول مختلف مستويات العملية التخصصية للوظائف النفسية العليا والدقيقة في المرحلة الابتدائية للحياة (الجدول 5 -1).

الجدول 5 -1 - مستوى الوظائف النفسية التخصصية في المرحلة الابتدائية للحياة

الوظائف النفسية	مستوى العملية التخصصية للآلية التنظيمية
الإحساسية	متخصصة بالكامل
الاستيعابية	متخصصة جزئياً
الحركية	متخصصة جزئياً
التفكيرية	غير متخصصة، يوجد آلية مشتركة للقاء
الحديث	غير متخصص، يوجد أساس مشترك (العملية الصوتية)

حسب رأيها، تتمثل النزعة الأساسية في أن ((كلما كان إبراز تخصصية الوظائف أكثر بساطة، كان إبراز تخصصية آليتها أكثر قوة، وكلما كان أكثر تعقيداً، حمل تنظيمها الوراثي بدرجة كبيرة طبعاً عمومياً غير تفاضلي . هذا يعني أن دور العوامل الوسطية في تشكيل الآليات الوراثية المعطاة أولياً والخاصة بالهيئات النفسية العالية والدقيقة، هو دور متنوع. في بعض الحالات يعد نضوج الآلية نفسها ضرورياً وكافياً وذلك أثناء تشكل وظائفيته وتمريناته في المرحلة الآنية. في الحالات الأخرى ليس فقط التأثيرات الوسطية ووظائفية الآلية نفسها لحصول نضجه هي هامة وإنما

أيضاً المشاركة المتوترة للمجموعات الأخرى خلال بناء آلية جديدة، التي تحتوي على مجموعات وراثية وتراكيب جديدة)) (45، ص 39). مما تقدم يمكن الوصول إلى نتيجة حول إمكانيات النمو الأقل نوعياً وعملية جمع الوظائف النفسية الدقيقة، التي تعد أساساً للقدرات الخاصة وذلك بالمقارنة مع القدرات الشاملة.

من الواضح وجود أهمية من أجل دراسة التغيرات النفسية العمرية لطريقة البحث طويلة الزمن، بمعنى الدراسة الطويلة والمنظمة لنفس الأشخاص المختبرين . إن وضع نتائج مثل هذه التجارب ((تسمح بشكل كاف وكامل بتكوين مجال تذبذب المعايير العمرية ولحظات التحول من طور نمو إلى آخر)) (5، ص 301). يتحدد سير الدراسة بواسطة برنامج ملائم مقاس على مجموعة سنوات، ذلك لأن التطبيق على فترات قصيرة غير فعال. على الخصوص يتعلق ذلك في إعداد سلسلة من الاختبارات الوظيفية والطرق التجريبية، التي تتكرر دورياً عند دراسة شخص واحد، وهذا عمل غاية في التعقيد، ذلك لأن ملاءمة المختبر مع شروط التجربة، يمكن أن تؤثر تدريبات خاصة على لوحة التطور. من أجل دراسة خواص النمو الفردي فيما عدا استخدام طرق التشخيص النفسي القياسية خلال الشكل البعيد لتنظيم التجربة يقترح أيضاً استخدام الطريقة الحياتية الشخصية. حسب ب.أناني‌يف، الطريقة الحياتية الشخصية – هي ((جمع وتحليل المعطيات حول طرق الحياة للإنسان كالشخصية والفعل الذاتي للنشاط (تحليل الوثائقية الإنسانية، ودلائل المعاصرين، والإنتاج النشاطي للإنسان نفسه...الخ))) (ص310). يفترض من أجل ذلك أن تكون الطريقة الحياتية الشخصية هي الطريقة الأكثر فعالية لتحديد مراحل المثالية للنشاط وأطوار تقدم الذكاء، بمعنى يدور الحديث في هذه الحالة قبل كل شيء حول تأثير بعض القوانين العامة، وليس حول دراسة الخواص الشاذة لشخص محدد.

لقد جرى اعتبار ف. غالتون أحد رواد الاستخدام الهادف لطريقة الحياة الشخصية. يتم جمع المعطيات الحياتية الشخصية بهدف تحديد شروط ظهور الناس العباقرة. إذا ما تم القبول بأن العبقرية ((عبارة عن درجة عالية من تطور تلك القدرات، التي تمتلك ضمن أطار ثقافة محددة أهمية اجتماعية عالية)) (7، ص585)، بينما

العبقري - ((هو الشخص، الذي في أية مجال للنشاط قادر على إظهار نتائج تفوق المؤشرات الوسطية بكثير)) (ص 538)، وهو ما يقود للحديث عن وجود محصلة تظهر على شكل ما من الدلائل الاجتماعية المنفذة لطبيعة العبقرية، التي تتفوق على غيرها بمؤشرات معينة وهو ما يميزها عن الجميع. لذلك يمكن بحث العبقرية ضمن النظرية الفردية العمرية. لقد حدد أبرز علماء انكلترا غالتون في أبحاثه التسلسل التالي للصفات الذي تؤمن نجاحها:

1) الطاقة فوق الوسط، البدنية والعقلية.
2) الصحة.
3) المثابرة.
4) الاهتمام العملي.
5) ذاكرة جيدة.
6) استقلالية الخلق.
7) ((القدرات الآلية)) (قبل الجميع عند الكيميائيين، الجيولوجيين، الفيزيائيين، المهندسين).

على هذا النحو، تحتل مواقع المقدمة الأنواع التي تؤمن عند الإنسان الشمولية وإمكانية التأثير المتبادل مع البيئة والتكيف مع المواقف المتغيرة. غالتون نفسه عرّف العبقري - هو ((نشاط تلقائي للعقل بخلاف عن قوة الإرادة)) (23، ص 68).

يمكن أيضاً تقديم معطيات أكثر حداثة لدراسة الحياة الشخصية لعلماء العالم البارزين من فيثاغورث حتى الأحياء في هذا الزمن، الذين يحملون الطابع الصنعي والحماسي والعدواني على الأكثر، أما على الأقل - الدينية والمراقبة الذاتية والصحة الجيدة. يتوجب عند ملامسة مسائل الانفرادية الجنسية الإشارة إلى حصول انتشار لظهور الفوارق النفسية المشتركة بين الرجال والنساء أثناء التطبيق العملي عن طريق تحديدها بواسطة الوسائل الموافقة للمؤشر M-F (الرجولة - الأنوثة)، الذي يعكس درجة موافقة أفكار الإنسان حول نفسه والأفكار الأكثر نموذجية حول الرجل أو المرأة. في هذه الحالة يتم الوصول إلى خلاصة حول الاختلافات الوراثية. من موقع

obeikandl.com

إمكانيات الفردية الحركية للمؤشر M-F تصب في هذا الاتجاه معطيات ل. تيرمن و ك. مايلنر حول العلاقة الهامة للمؤشر مع المضمون الاحترافي للمختبر.

على سبيل المثال، ينال الرجال الرسامون وذوي المهن الثقافية في العموم درجات أكثر ((أنوثية))، بينما تنال النساء - معلمات المدارس المتوسطة والكليات - درجات أكثر ((رجولية)) (الشكل 5 -1) .

الشكل 5 -1 -المؤشرات الوسطية للرمز M-F للرجال والنساء مختلف المهن. تظهر النهاية الإيجابية للمدرج أكثر الدرجات الرجالية، أما النهاية السلبية فتظهر أقل الدرجات النسائية .
المصدر : (7 ص 644)

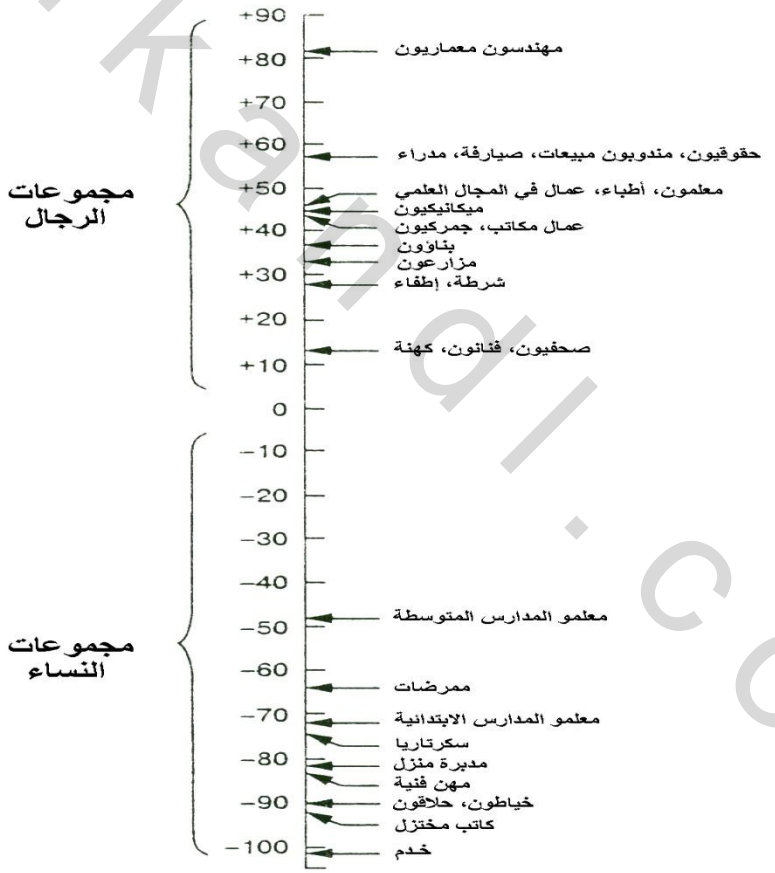

توجد معطيات، تشير إلى علاقة الرمز M-F بالبيئة المنزلية التي تربى فيها الإنسان.

obeikandl.com

أما العوامل مثل موت أحد الوالدين والعلاقة الخارقة مع أحد الوالدين، فهي أشد ارتباطاً مع درجة M-F من الخواص البدنية. على هذا النحو يمكن تثبيت التأثير الحقيقي للعوامل الثقافية والاجتماعية على الفردية الجنسية.

2-5- الاتجاه الشخصي

لقد تم سابقاً استعراض عدد من المسائل حول مادة علم النفس التفاضلي لـ ب. شتيرف، التي تظهر تأثيراً حقيقياً على تطوره المستقبلي. مشيراً إلى الاتجاهات الطرق المختلفة لعلم النفس التفاضلي، لقد حدد شتيرن مادته البحثية على أن تكون في المقام الأول ((هي عبارة عن الفرد نفسه كواحدة تجريبية)) (58، ص 20). أي يوجد مشكلة علمية أساسية تظهرها الدراسة المنفصلة للفردية المعينة على كامل وحدتها وتفردها. عند ذلك من المهم أن تخدم دراسة الفردية شرطاً لتأمين التأثير المتماثل على (تقنيتها النفسية)، كمثال ما يحصل مع الأهداف التربوية أو العلاجية. كل ذلك يمكن إرجاعه للتدخل في علم نفس الطريقة الفكرية البيانية، بالاختلاف عن الطريقة الالتفافية، الهادفة إلى دراسة القوانين الخاصة وليس العامة. حصلت هذه الطريقة في علم النفس على تسمية ((علم الشخصية)).

يدفع شتيرن إلى المخطط الأول مشكلة الحصول على لوحة تركيب الفرد والنوع الخاص بها. يدخل في عداد المسائل الهامة مسائل حول {ماهية دور الأسباب في نشوء الفوارق النفسية، فمن جهة الداخلية (وراثة الاستعدادية)، ومن جهة أخرى - الخارجية (تأثير العالم المحيط، التربية، المعايير والنماذج وغيرها). في النهاية، تقود الدراسة التي توجه لمعرفة إلى أية درجة من السطحية يمكن اعتبار الظواهر النفسية الاستعدادية دلائل مميزة للخواص النفسية الفطرية، إلى تأسيس علم الأعراض التفاضلي} (ص 12). ولكن وظيفة إثبات الاستعدادية، التي تظهر في تموضع العلامات، تبقى أساسية. من أجل ذلك يفهم التموضع بأنه قبل كل شيء، فقط كالإمكانية، هو شرط جزئي للحدث. بالتالي تبدو الحياة الواقعية الروحية للإنسان دائماً كمنتج للتقارب [لذا، بشكل ما يتكيف الإنسان، يتعلق ذلك كما حسب نوعه وكذلك حسب الظروف الخارجية الخاصة في كل حالة منفردة (من

الوظيفة والموقف وعوامل أخرى)] (ص 114).

بالالتفات إلى الأدواتية في طرق علم النفس التفاضلي، قدم شتيرن طريقة التخطيط النفسي كطريقة متقدمة. حسب شتيرن هي ((طريقة بحث للفردية التي تنطلق ليس من مؤشر وإنما من عدة مؤشرات موجودة لدى الفرد، يتم ترتيبها استثنائياً (أو على الأغلب) حسب أسس نفسية)) (ص 211) . هو يعتبر أن حل مشكلة بنية الفرد ممكن فقط على أسس التخطيط النفسي، ذلك لأن ((عملياً لا يوجد شيء معلوم عن التأثير المتبادل لجملة العلام النفسية عند الإنسان، أو كيف تتوحد وتخضع لعمليات الترقي وكيف تؤثر على بعضها البعض. هذا لا ينطبق على الفرد في العموم، وإنما على كل خاصة من خاصيته حيث يمتلك بنية مخصصة، لذلك يمكن بحثها فقط مع حساب علاقاتها ذات الجوانب المتعددة)) (212). على هذا النحو، وعند دراسة بنية الفردية، يقترح عمل يستند لا على تحديد تركيب عناصرها إنما على إظهار العلاقة الترابطية المتبادلة فيما بينها. من المحتمل أن هذا المفهوم قريب من رأي ب.أ نانييف حول أن ((إذا كانت الشخصية هي " قمّة " كامل بنية الخواص الإنسانية، فإن الفردية - هي " عمق " الشخصية والنشاط الذاتي)) (ص 329). يقترح على المخطط النفسي مع استخدام قائمة معدة مسبقاً إنجاز العلام النفسية المبرزة، لكي يتم تركيز انتباه المخطط النفسي إلى الخواص، التي تتطلب اهتماماً خاصاً، وكذلك من أجل تأمين إمكانية مقارنة عدة مخططات نفسية. من المفهوم، أن هذه الدراسة يجب أن تكمل بالتأكيد على إبراز العلام التي تحمل بطبيعتها فردية معينة.

تتأخر البنية الثنائية المستوى للفردية عن ما يطرحه الممثل الآخر لعلم الشخصية المشهور غ.أولبرت . فحسب أولبرت، كل شخص غير مكرر، ذلك لأنه يحمل مزيجاً من الصفات الفردية من نوعها والحاجات المسماة من قبل سماته. تقسم هذه السمات إلى أساسية وأدواتية. تحفز السمات الأساسية السلوك وتعد صفاتاً طبيعية ولادية، أما الأدواتية فتكوّن السلوك وتتشكل عبر حياة الإنسان.

في نتيجة هذا الاتحاد يكتسب الإنسان مع الإضافة المشتركة للسمات الأساسية

والأدواتية استقلالية الذات. في هذه الحالة هو يصبح مستقلاً من تأثير الحاجات البيولوجية وكذلك من ضغط المجتمع على حد سواء، أي يظهر غير مشابه للآخرين، يصبح فردياً.

فيما عدا إعداد التصور النظري للفردية، حمل أولبرت مساهمته في تحسين طرق أبحاث الخواص النفسية عند الإنسان. على الخصوص، حصلت أعماله بتحديد مجموع السمات العامة للشخصية على شهرة واسعة.

لقد افترض أولبرت عند بحث أناس معينين بالتأكيد على استكمال استخدام الطرق القياسية بمعطيات المراقبة الأكثر اشتراكاً مع أبحاث متنوعة. كذلك تعطى الأفضلية لاستخدام طريقة الحديث الغير متشكل بدلاً من الاستمارة القياسية و هكذا دواليك.

إن الطريقة المنظوماتية هي أيضاً مميزة لمفاهيم ب. ميرلين الفردية التكاملية. وفقاً لها يتم بحث الفردية التكاملية للإنسان كمنظومة كبرى مؤلفة من منظومات صغرى لخواص ذات مستويات ترقّي متنوعة (فيزيائية، بيولوجية، نفسية وغيرها). يكمن الخلاف الأساسي لكل مستوى ترقي في قوانين التخصص التي يخضع له. المستوى المنفرد للترقي ((هو عبارة عن مادة لعلم ما خاص، يتميز بمفاهيمه ويكتب بلغته)) (36، ص 17). على هذا النحو يتبين أن القوانين التي يتقيد بها كل مستوى هي قوانين مشتركة لجميع الناس. ولكن الاختلافات تنشأ بين هذه المستويات التي لا تعتبر مشتركة والغير محددة بشكل واضح. بالتالي يتوجب دراسة ((جميع العلاقات المختلفة المستوى بين الخواص البيولوجية والبدنية العادية والحركية العصبية والنفسية الديناميكية والشخصية والنفسية الاجتماعية، كالمحددة بنوع من الحتمية)) (ص 9). تتمثل عملية تخصص هذه الحتمية في ((أنها تختلف عن القوانين التي تحدد مستويات الترقي المنفردة، أي عن القوانين الكيميائية والفيزيائية والبيولوجية والاجتماعية وغيرها)) (ص 17). توجد هذه العملية التخصصية بالتحديد وفي المقام الأول الخواص الفردية لشخص محدد منفرد وكذلك الفردية المنفصلة.

بالتالي، يمكن أن تكون المنظومات الفرعية للفردية مرتبطة فيما بينها بشكل مختلف. لذلك لا وجود لأي تسلسل تطوري فريد أو متماثل للجميع. ولا يمكن أن يحدد بواسطة القوانين الكيميائية والفيزيائية والاجتماعية، التي يمكنها تحديد تطور مستويات الترقي. حسب ميرلين: إن الفردية التميزية للتكاملية، التي تميزها عن غيرها، هي عبارة عن النمط الفردي للنشاط. ذلك لأنه بالضبط سيتم تحديده عن طريق خواص مستويات الترقي المختلفة - الديناميكية العصبية والديناميكية النفسية والخبرات والمهارات، ويتعلق بصفات نوع الجهاز العصبي وبالخواص البيوكيميائية وبمجموعة أساليب وطرائق العمل وبتوجهات الشخصية . هذا المفهوم للنمط الفردي الخاص بالنشاط مطابق لرأي ي. كليموف، الذي يعتبر النمط الفردي للنشاط ((هو عبارة عن منظومة فردية - فريدة من الوسائط النفسية، التي ينساق إليها الإنسان بعلمه أو بدون علمه، بهدف تحسين توازن فرديتها مع المواد والشروط الخارجية للنشاط)) (25، ص 75). لأجل ذلك يقترح كليموف تناول فقط خواص النمط تلك من النشاط، ((المتأثرة بخواص تصنيفية لا على التعيين للجهاز العصبي)) (ص 74). يؤكد أيضاً ميرلين تأثير الشروط التصنيفية الاجتماعية على جميع مستويات الترقية للفردية التكاملية، عندما ((الفردية التكاملية - تكون هي الشكل المعبر لوجود الأنواع الاجتماعية المختلفة)) (36، ص 15).

هكذا، تتمثل الوظيفة الأساسية لدراسة الفردية حسب ميرلين في شرح نوع العلاقة التخصصي بين خواص المنظومة الفرعية الواحدة وكذلك بين المجموعات النوعية المختلفة. ولكن من الواضح، أنه يتبين وجود علاقة ما بين مستويات الارتقاء للفردية في مركز الاهتمام. لا يمكن من أجل هذه المادة للبحث التكاملي إيجاد علاقة بين جميع مستويات الترقية، ذلك لأن البنية التفاضلية لهذه المستويات غير معروفة، وكذلك من غير المعروف ما هي الخواص بالذات التي تنتمي إلى المستويات المتنوعة. في الحاصل، ستكون أبحاث الإنسان متكاملة عندما، ((عندما تكون مادته عبارة عن مجموعة خواص لعدة (2 -3) مستويات ترقية)) (ص 11). يقترح من أجل

دراسة هذه العلاقات استخدام طرق الحساب الرياضية والمخصصة من أجل إظهار العلاقات غير الخطية. تعطي الكثير من الإجراءات الإحصائية والمتعددة القياسات أهمية كبيرة للتحليل العواملي. ولكن العلاقات الرياضية تكشف فقط عن العملية الحتمية الأكثر شمولية لأية فردية كانت، و ليس عن حتمية كل فردية منفصلة . مطلقاً لا يمكن أن تكون الفردية مادة للمعرفة العلمية - النظرية فقط . تعتبر الفردية التكاملية للإنسان أيضاً ((مادة للمعرفة العلمية - العملية - للمعلم والطبيب النفساني، بمساندة الأسلوب المنظوماتي)) (21). يقترح من أجل هذه المسألة استخدام وسيلتين على الأقل: التشخيص العملي والتجربة التعليمية. تعمل هذه الوضعيات حول الحاجة إلى أشكال التخطيط الفردي لأبحاث الإنسان على تقريب وضعية ميرلين مع وضعية التشخيصيين شتيرن و أولبرت.

تجدر الإشارة، إلى أنه جرت العادة على اعتبار أولبرت أيضاً واحداً من مؤسسي علم النفس الإنساني. ينتمي أيضاً إلى ممثلي هذا الاتجاه ك.رودجدز، الذي تلتقي آراؤه في نفس الوقت مع عدة وضعيات نظرية العملية التشخيصية. في الحقيقة، وبخلاف عن شتيرن وأولبرت، هو في أثر فروم، اعتبر أن العمليات الاجتماعية والتشكل الاجتماعي للشخصية إضافة إلى استيعاب الإنسان للأدوار الاجتماعية يمكن معالجتها كعمليات التوحيد والمعايرة عند الإنسان، وتطور العناصر المؤسسة المناسبة للضبط النفسي والضياع المحدد لفرديته الممنوحة أولاً، وانخفاض إمكانية تحقيق قدراته وكذلك عملية مطابقته الذاتية للواقع. في هذه الحالة يمكن أن تظهر مشكلة ما بين الخواص الاجتماعية المتأثرة والمتأخرة للإنسان وبين خواصه المبكرة، وذلك في أقصى حد بيولوجياً بالمعطيات والتفاصيل البنيوية. وصف رودجرز المشكلة المماثلة على الشكل التالي: ((يتعرض الفردي لتوتر محدد ناتج إثر المطامح الداخلية المتناقضة أو نتيجة نزاع بين المتطلبات الاجتماعية ومتطلبات الوسط المحيط من جهة، وبين المتطلبات الفردية من جهة أخرى)) (44، ص241). من المهم أن ((الفردي يمتلك قدرة محددة في التعامل مع صعوباته الحياتية. هو يتمتع بثباتية مماثلة وإمكانيات كافية من أجل مراقبة حالته. إن الظروف التي يضطر لمواجهتها،

لا تعد بأي شكل ملائمة أو غير متبدلة، لكي لا يستطيع عند وجود رغبة، بمراقبتها أو تبديلها)) (241). ولكن غالباً ما يعتمد الفردي من أجل حل المشاكل الناشئة، بشكل مستقل أو عن فهم، على مساعدة واستشارة الأخصائيين.

على هذا النحو، الفردي شخص محدد منعزل، يعارض العامة بالنسبة للجميع، وهذا يعني هو حسب المؤشرات النفسية يختلف عن جميع الآخرين. من المهم، أن هذا المفهوم يخدم الشرط الطرائقي للمعالجة النفسية، التي يمكن أن تطبق فقط بالنسبة إلى إنسان محدد مفرد. على قدر ما يتم تقدير القدرة الأولية عند الإنسان إيجاباً، من موقع علم النفس الإنساني، يعطى تفضيلاً في النزاع المشار إليه. عندئذ تركّز مساعدة المصاب عليه وعلى تنشيط وحيوية الأسس الأولية، وكذلك على إيجاد نفسه بنفسه وعلى فهم القدرات الذاتية. أما التوجه الأساسي لتطبيع الجسم فيحدد كتحرك في اتجاه ((التوسع المنظم عبر النمو، والتوسع عبر التمدد الذاتي بالوسائل الخاصة، وكذلك التوسع عبر النسخ . هو يتحرك إلى تحرر أكبر أو إلى الاستقلالية)) (448).

لذلك تصبح الوظيفة الأساسية للمعالجة النفسية هي تهيئة الحالة، التي يستعرض فيها المستشار قبوله الغير مشروط للمراجع، وذلك كإنسان قادر بشكل مستقل على بناء الحياة. من الواجب أن يكون الجو أميناً، ويظهر للمراجع ((فهمه العميق، وتقبله للنوايا الإدراكية للمراجع، ثم يضغط خطوة وراء خطوة باتجاه المجالات الخطرة، كالتي تم تجاهلها سابقاً ولم يلامسها الإدراك، والتي يتمسك فيها هو حتى لحظة الاستشارة)) (ص 51). من الملاحظ، أن الاستخدام نفسه للمصطلحات ((مستشار)) مكان ((طبيب نفسي)) و((زبون)) بدلاً من ((مراجع)) يؤكد على اعتيادية محدودة للحالة. تبدو العاطفة كوسيلة رئيسية يلجأ إليها المستشار لإبعاد جميع المخاوف عند الزبون ومنها التي يحب والتي يكره. يقدم المستشار احتراماً لجميع مشاعر الزبون، مظهراً إيمانه بأن هذا الزبون بالتحديد يتمتع بقيم غير محدودة وليس بأقل من غيره. من جهته يظهر الزبون المزيد من الثقة في إمكانيات التغير والتطور عند الإنسان باتجاه حياة أكثر اكتمالاً وغنى والتي تجلب له

السعادة. تساعد علاقة المستشار هذه مع زبونه وردود أفعاله الجوابية الزبون ((بالاستماع إلى نفسه)).

إن أكثر الوسائل نجاعة للحصول على مثل هذه الإجراءات موجهة لتخفيض التهديد في جو الاستشارة وتحرير الزبون الذي يحاول تقديم نفسه أكثر دقة. يعد عكس ما يبدو بالنسبة للمستشار السعي إلى العملية التشخيصية والتفسيرية وتقييم حالات الزبون أثناء عملية العلاج على حدود جديدة لشخصيته، وإيجاد واستيعاب طرق جديدة للعلاقات المتبادلة مع المحيط، ويكتسب طرقاً جديدة لسلوكه . على هذا النحو، في نتيجة التأثير العلاجي تتفتح خواص نفسية جديدة للإنسان، التي تجعل منه أكثر فردية وتمييزاً عن غيره .

obeikandl.com